الفصل السادس

المديح السياسى

٢

بسطنا فى الأبواب السابقة ما كان من مدح للملوك والخلفاء والأمراء والوزراء والقواد والوجهاء ، وعرضنا لمديح العلماء والكتاب ، وألممنا بطرف من مديح النبيّ ، ونظرنا من خلال الشعر إلى النواحى الأدبية فى المديح من وصف للشجاعة والكرم وأصالة النسب وقوة العارضة وشدة الذكاء ، وبسطة العلم والجاه ، ووقفنا عند الحدود الفنية فى ذلك ، لم نعرض لما وراءها من قصد سياسى إلاّ حين كتبنا فى مديح آل البيت ، فرأينا فيه أهدافاً عصبية وقبلية ودولية — كما نقول اليوم — إلى جانب العاطفة الدينية التى اعتمد عليها هذا اللون من المديح كأساس للمطالبة وعنوان للحجة .

ونحن حين ننظر فى الأبواب الأخرى من الناحية السياسية الصرفة نجد فيها كما وجدنا فى مديح آل البيت دوافع خفية وظاهرة إلى عمل سياسى وغرض دولى . فالنابغة حين امتدح مليكه النعمان بن المنذر انتصر لدولة دون دولة ومملكة دون مملكة ؛ لأن الغساسنة كانوا أعداء المناذرة ، ومديح فريق خصم يعدّ فى عرف السياسيين اليوم خصومة للفريق الآخر ، وهو انحياز لمعسكر دون معسكر ، كما تقول الصحافة المعاصرة. وكذلك مديح قبيلة دون قبيلة حين تشتد الخصومة بينهما وتستعر الحروب ، وتقدم الأيام شواهد على هذه الحزازات والأحقاد والضغائن ، وتأييد القبيلة تشجيع للثورة على أخصامهم وبعث للحرب والانتقام . فإذا عرفنا أن أيام العرب تجاوز الألف عدداً كما قال بعض